بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد والجهاد – أيهما الأصل ؟

تأليف
الشيخ أبي مريم عبد الرحمن بن طلاع المخلف

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله الذي أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون القائل في كتابه الكريم

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
[الأنفال : 39]

و القائل

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾
[البقرة : 193]

و في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِى تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِى وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِى وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ».
فموضوع درسنا اليوم من المواضيع المهمة التي قل من يطرقها إما رهبة من المخالف أو جهلا بالحق و هذا الموضوع هو الفرق بين التوحيد و الجهاد و ما هو الأصل الذي بعث الله به الأنبياء هل هو التوحيد أم الجهاد و أيهما يقدم على الآخر و أيهما أصل للآخر و بيان حال من ينتسب للدعوة إلى الجهاد و هل هو حقيقة يعمل بما أمره الله به أم أنه خالف طريق الأنبياء في الدعوة إلى الإسلام العام .
لا يختلف المسلمون بأن الله تعالى أمر الله الأنبياء جميعا بتحقيق إخلاص العبادة في أنفسهم أي أمرهم بتحقيق التوحيد و التجرد لله تعالى فقال

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾
[الأنبياء : 25]

و لا بد للرسول من أن يحقق التوحيد في نفسه و إلا لا يستحق أن يكون داعيا للتوحيد و كما يقال فاقد الشيء لا يعطيه فكيف يدعو للتوحيد من لم يحقق التوحيد لذا حذر الله تعالى الأنبياء جميعا من الوقوع في الشرك و نبههم إلى أن من وقع الشرك الأكبر يحبط عمله و هذا الأمر لعظمته و عظم شأنه بينه الله تعالى لجميع الأنبياء

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
[الزمر : 65]

و قال

﴿ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾
[الأنعام : 88]

ثم إن الله تعالى بعد ذلك أمر الأنبياء جميعا بدعوة أقوامهم إلى التوحيد كما قال تعالى

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾
[النحل : 36]

و قال

﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ ﴾
[النحل : 2]

و قال تعالى

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً ﴾
[الكهف : 56]

و قال تعالى

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾
[الأحقاف : 21]

فقد خلت النذر من بين أخا عاد و من خلفه بالنذارة من الوقوع في الشرك و دعوة الناس إلى التمسك بالتوحيد و التحذير من النار لمن خالف هذا التوحيد فهذه هي دعوة الأنبياء جميعا و هذا هو الذي أمر الله تعالى الأنبياء التمسك به و عدم مخالفته و حذرهم من مخالفته قال بعض أهل العلم في بيان هذه الحقيقة (اعلم رحمك الله: أن كلمة الإخلاص، لا إله إلا الله، هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها أمر الله جميع العباد، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته، التي دعا الأمم على ألسن رسله إليها، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وأساس الفرض والسنة؛ فإذا عرفت هذا، فاعلم: أن لا إله إلا الله، لا تنفع قائلها، إلا بعد معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، وأنها لا تنفعه إلا بعد الصدق،

والإخلاص، واليقين؛ لأن كثيراً ممن يقولها، في الدرك الأسفل من النار. فلابد في شهادة: ألا إله إلا الله، من اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان؛ فإن اختل نوع من هذه الأنواع، لم يكن الرجل مسلماً؛ فإذا كان الرجل مسلماً، وعاملاً بالأركان، ثم حدث منه قول، أو فعل، أو اعتقاد، يناقض ذلك، لم ينفعه قول: لا إله إلا الله؛ وأدلة ذلك في الكتاب والسنة، وكلام أئمة الإسلام، أكثر من أن تحصر.
.)

و لكننا نرى اليوم أن الشيطان لعب بكثير ممن ينتسب للتوحيد و الجهاد و أصبح همه اليوم القتال من أجل القتال لا من أجل رفع راية لا إله إلا الله فلا يدعو الناس للتوحيد و إخلاص العبادة لله تعالى مع أن الناس اليوم غالبهم على الشرك فهم يعبدون الطواغيت فيطيعونهم كما يطيعون الله تعالى بل و أبلغ من طاعة الله تعالى و هذه من أعظم العبادات بل ما عبد من دون الله تعالى معبود إلا بشرك الطاعة فهو لا يعبده إلا بطاعة الشيطان أو من يعظمه من دون الله تعالى لذا كان هذا الشرك أي شرك الطاعة هو من أنواع شرك الربوبية كما قال تعالى

﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
[التوبة : 31]

و قال تعالى

﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾
[آل عمران : 80]

و قال

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾
[آل عمران : 64]

لذا لم يرض الشيطان أن يعبد كما يعبد غيره من الطواغيت الذين هو أصلهم و أسهم بل جعل لنفسه مرتبة أعظم من مرتبتهم مرتبة الربوبية كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴾
[مريم : 44]

و قال تعالى

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴾
[النساء : 119]

و قال تعالى

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
[إبراهيم : 22]

و قال تعالى

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾
[النمل : 24]

و قال تعالى

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾
[لقمان : 21]

و قال تعالى

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾
[يس : 60]

و قال

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾
[محمد : 25]

فكل عبادة لغير الله في هذا الكون منذ خلق الله الأرض و من عليها إلى أن يرث الله الأرض و من عليها إنما هو عبادة للشيطان بطاعته فشرك الطاعة هو أصل كل كفر و فسق و ظلم كما قال تعالى

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾
[البقرة : 268]

ففي شرك التحاكم قال تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾
[النساء : 60]

و في موالاة الكفار و القتال معهم

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾
[النساء : 76]

و في الفسوق

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
[المائدة : 90]

و قال

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

[المائدة : 91]

و قال تعالى

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾
[طه : 120]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
[النور : 21]

و قال

﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾
[الأنعام : 121]

و كثير من الناس يظن أن الناس اليوم لا يقعون في هذا الشرك و أن غالب شركهم في شرك الأعمال و ما علم أن شرك الأعمال ما عد شركا إلا بطاعة من يأمر بالشرك و يحض عليه لذا عد الله هذا النوع من الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادة غير الله أربابا من دون الله و أن من أطاعهم فقد عبدهم من دون الله تعالى بهذه الطاعة و أن غالب الشرك اليوم هو شرك الطاعة لا شرك الأعمال فإن الناس اليوم يطيعون الطواغيت سواء من العلماء أو الأمراء طاعة عمياء دون النظر إلى هذه الطاعة فكل ما يقوله لهم هؤلاء الطواغيت حق حتى لو بين لهم بطلان قول هذا الطواغيت و

يدافعون عن هؤلاء الطواغيت بأنفسهم و أموالهم و ألسنتهم كما يدافع الموحد عن الله تعالى و دينه بنفسه و ماله و لسانه .

و لننظر لأنفسنا اليوم هل نحن دعونا إلى التوحيد كما أمرنا الله تعالى و صبرنا على ذلك أم أول ما يخطر ببال غالب الشباب اليوم أن يخرج للجهاد حتى صور لهم أن من لم يخرج فهو آثم مطلقا دون النظر إلى حقيقة الجهاد و ما هو المطلوب منه فهذا المسائل اليوم من المسائل التي تحتج إلى بيان و إيضاح مع تجرد لله تعالى دون النظر إلى الرجال و أرائهم بل و لا أعمالهم فيعظم بعض الناس من يقاتل الكفار الأصليين لأنه قاتل الكفار الأصليين و هذا من الخطأ فلا بد أن ننظر هل هذا القتال هو مما يحبه الله تعالى في هذا الحال أم هناك ما هو أولى منه تركناه و لم نعمل به فإن الجهاد ما هو إلا وسيلة من وسائل الدعوة و متى ما نقضت الوسيلة الأصل دل على بطلان هذه الوسيلة إما تأصيلا أي أن هذه الوسيلة غير مشروعة في ديننا أو تتريلا بحيث تكون هذه الوسيلة مشروعة و لكنها لم تتزل في محلها الصحيح و قد بينت بالأدلة أن الأصل الذي بعث الله تعالى الأنبياء جميعا هو الدعوة للتوحيد و بيانه للناس و لم يكن الأنبياء كلهم مأمورون بالجهاد بل حتى في شرعنا لم نكن مأمورين بالجهاد في كل وقت فإن الله تعالى لم يأمر بالجهاد إلا بعد أن تحققت القدرة عليه و كان المسلمون مأمورين بالتوحيد و الصدع و الصبر عليهم قبل أن يأمروا بالجهاد في المدينة حتى أن الصحابة رضي الله عنه من أجل دينهم و الحفاظ عليهم حين صدعوا به و أظهروه و تمسكوا به عذبوا و أوذوا فمن لم يكن أحد يحميه من الصحابة أمره النبي صلى الله عليه و سلم بالهجرة إلى الحبشة و هاجر كثير من الصحابة من أجل هذه الغاية فالله تعالى في مكة أمر المسلمين بكف أيديهم مع شدة الأذى كما قال تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾

[النساء : 77]

مع أن الصحبة حتى بعد هجرهم لم يكونوا مأمورين بالجهاد مع أنهم أخرجوا من ديارهم و أموالهم فالله تعالى سماها ديارهم و مع ذلك نهاهم عن قتالهم

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾

[آل عمران : 195]

و قال

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[الحج : 40]

و قال

﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

[الحشر : 8]

و قال

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾
[الممتحنة : 8]

و قال

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
[الممتحنة : 9]

فلم يأمر النبي صلى الله عليه و سلم الصحابة بقتال هؤلاء الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم إلا بعد الهجرة و بعد تحقق القدرة على قتالهم قال ابن القيم (
فَصْلٌ [الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ]
فَلَمّا اسْتَقَرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ وَأَيّدَهُ اللّهُ بِنَصْرِهِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَنْصَارِ وَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالْإِحَنِ الّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَتْهُ أَنْصَارُ اللّهِ وَكَتِيبَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ وَبَذَلُوا نُفُوسَهُمْ دُونَهُ وَقَدّمُوا مَحَبّتَهُ عَلَى مَحَبّةِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَكَانَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ وَالْيَهُودُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَشَمّرُوا لَهُمْ عَنْ سَاقِ الْعَدَاوَةِ وَالْمُحَارَبَةِ وَصَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلّ جَانِبٍ وَاَللّهُ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُهُمْ بِالصّبْرِ وَالْعَفْوِ وَالصّفْحِ حَتّى قَوِيَتْ الشّوْكَةُ فَقَالَ تَعَالَى :

﴿ أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾
[الْحَجّ : 39]

. وَقَدْ قَالَتْ طَائِفَةٌ إنّ هَذَا الْإِذْنَ كَانَ بِمَكّةَ وَالسّورَةُ مَكّيّةٌ وَهَذَا غَلَطٌ لِوُجُوهٍ أَحَدُهَا : أَنّ اللّهَ لَمْ يَأْذَنْ بِمَكّةَ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ وَلَا كَانَ لَهُمْ شَوْكَةٌ يَتَمَكّنُونَ بِهَا مِنْ الْقِتَالِ بِمَكّةَ

. الثّاني : أَنّ سِيَاقَ الْآيَةِ يَدُلّ عَلَى أَنّ الْإِذْنَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَإِخْرَاجُهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ فَإِنّهُ قَالَ

﴿ الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ إِلّا أَنْ يَقُولُوا رَبّنَا اللّهُ ﴾
[الْحَجّ :40]

وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْمُهَاجِرُونَ . الثّالِثُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبّهِمْ ﴾
[الْحَجّ : 19]

نَزَلَتْ فِي الّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ . الرّابِعُ أَنّهُ قَدْ خَاطَبَهُمْ فِي آخِرِهَا بِقَوْلِهِ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا وَالْخِطَابُ بِذَلِكَ كُلّهِ مَدَنِيّ فَأَمّا الْخِطَابُ (يَا أَيّهَا النّاسُ فَمُشْتَرَكٌ . الْخَامِسُ أَنّهُ أَمَرَ فِيهَا بِالْجِهَادِ الّذِي يَعُمّ الْجِهَادَ بِالْيَدِ وَغَيْرِهِ وَلَا رَيْبَ أَنّ الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ الْمُطْلَقِ إنّمَا كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فَأَمّا جِهَادُ الْحُجّةِ فَأَمَرَ بِهِ فِي مَكّةَ بِقَوْلِهِ

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ أَيْ بِالْقُرْآنِ ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾
[الْفُرْقَانُ : 52]

فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكّيّةٌ وَالْجِهَادُ فِيهَا هُوَ التّبْلِيغُ وَجِهَادُ الْحُجّةِ وَأَمّا الْجِهَادُ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي (سُورَةِ الْحَجّ فَيَدْخُلُ فِيهِ الْجِهَادُ بِالسّيْفِ . السّادِسُ أَنّ الْحَاكِمَ رَوَى فِي " مُسْتَدْرَكِهِ " مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ مَكّةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إنّا لِلّهِ وَإِنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ لَيَهْلِكُنّ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ

﴿ أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا ﴾
[الْحَجّ : 39]

وَهِيَ أَوّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ . وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ " الصّحِيحَيْنِ " وَسِيَاقُ السّورَةِ يَدُلّ عَلَى أَنّ فِيهَا الْمَكّيّ وَالْمَدَنِيّ فَإِنّ قِصّةَ إلْقَاءِ الشّيْطَانِ فِي أُمْنِيّةِ الرّسُولِ مَكّيّةٌ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ [فَرْضُ الْقِتَالِ]

ثُمّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالَ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنْ قَاتَلَهُمْ دُونَ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْهُمْ فَقَالَ

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾
[الْبَقَرَةُ : 190]

. ثُمّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ كَافّةً وَكَانَ مُحَرّمًا ثُمّ مَأْذُونًا بِهِ ثُمّ مَأْمُورًا بِهِ لِمَنْ بَدَأَهُمْ بِالْقِتَالِ ثُمّ مَأْمُورًا بِهِ لِجَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ إمّا فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ أَوْ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى الْمَشْهُورِ .) .

مع أن مكة دارهم و فيها دورهم و هي أحب الأماكن إلى الله تعالى و حرمها الله تعالى مذ خلق السماوات و الأرض كما في الحديث الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ قَالَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ « لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِى ، وَلَمْ يَحِلَّ لِى إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا ، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا » .

و مع ذلك نهى الله تعالى القتال في مكة و لم يأذن لهم إلا بالدعوة إلى التوحيد و الصدع بالحق و استمر النبي صلى الله عليه و سلم بالدعوة إلى التوحيد في المدنية قبل أن يأمر بالقتال فلما أمر بالقتال كان مقصود الجهاد هو أن يكون الدين كله لله تعالى

فكما ذكرنا كان الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة إلى التوحيد ففي الصحيح عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ – رضى الله عنه – سَمِعَ النَّبِىَّ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ « لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » . فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى ، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى فَقَالَ « أَيْنَ عَلِىٌّ » . فَقِيلَ يَشْتَكِى عَيْنَيْهِ ، فَأَمَرَ فَدُعِىَ لَهُ ، فَبَصَقَ فِى عَيْنَيْهِ ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَىْءٌ فَقَالَ نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا . فَقَالَ « عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » .

و في الصحيح عن عبد الله بن عمر قَالَ بَعَثَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِى جَذِيمَةَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا . فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا ، صَبَأْنَا . فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِى ، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِى أَسِيرَهُ ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – فَذَكَرْنَاهُ ، فَرَفَعَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – يَدَهُ فَقَالَ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ » .

و الشاهد أن خالد دعاهم إلى الإسلام قبل أن يقتلهم .

و عند مسلم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ « اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلاَلٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِى يَجْرِى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِى الْغَنِيمَةِ وَالْفَىْءِ شَىْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ

أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ ».

فالقتال هو آخر مرحلة من مراحل الدعوة و لكن ما نراه العكس أصبح الجهاد هو أول من مرحلة من مراحل الجهاد فمن أسلم حديثا سارع إلى الخروج للجهاد و كأنه في عهد الخلفاء الراشدين الناس غالبهم على التوحيد و لا يظهر منهم الشرك و المشرك بين المسلمين منافق لا يستطيع أن يظهر شركه لأنه يعلم إن أظهر شركه أقيم عليه حد الردة بالحال اليوم خلاف حال صدر هذه الأمة فالظهور اليوم للمشركين و ليس للمسلمين فالمسلمون مستضعفون لا يستطيعون أن يحموا أنفسهم فضلا عن أن يقاتلوا غيرهم ثم مع رؤيتهم لهذا الشرك الذي ضربت أطنابه مشارق الأرض و مغاربها فيقدمون جهاد الكفار الأصليين على دعوة الناس إلى التوحيد و لعله نفسه لم يتعلم أصل دينه و لم يعرف حقيقة التوحيد فإذا هو في جبهة ضد الكفار .

ثم لا أعلم لم لا يقاتل الكافر المرتد مع أنه بإجماع المسلمين أغلظ كفرا من جهة الحقيقة و من جهة الأحكام فما غير دين الناس و دخلوا في طاعة الطاغوت و حكمه و أصبحوا من أهله إلا هؤلاء الطواغيت لما ظن الناس أنهم لازالوا على الإسلام و سكت أهل العلم عن بيان ما يجب عليهم من الصدع بالحق فأستمرأ الناس حكم الطاغوت و رضوا به فدخلوا في حكمه و أصبحوا من أنصاره و أهله و حزبه و مثل هؤلاء يحتاجون إلى الدعوة للدخول إلى الإسلام لا يحتاجون لمن يدافع عنهم مع وجود الشرك فالطواغيت أشد كفرا من الكفار الأصليين و كذلك هم كفار صائليين فهم أولى بالقتال من الكفار الأصليين و مع ذلك يترك قتال المرتد مع وجوبه و ظهوره و إجماع الأمة القطعي على قتاله و يرجع إلى قتال الكفار الأصلي البعيد بحجة أنه صائل على بلاد المسلمين و أي بلاد هذه التي يسمونها أهلها مسلمين بلاد لو هموا بقتال

الطاغوت رأيت أكثر الناس يقاتلوهم و يضحون بأنفسهم و أموالهم من أجل الدفاع عن الطاغوت و الواقع أكبر شاهد على هذا فهل هذه البلاد تستحق الدفاع عنها أم تستحق القتال فهذه بلاد كفر حكما و حقيقة فهي بلاد تحكم بها الكفار و تغلب عليها و دخل في حكمهم أكثر الناس و سكت بعضهم فالحكم للأعم الأغلب و مثل هذه الدور لا يجوز إلحاق أحكام الإسلام بها فالقتال إنما يكون عن دور الإسلام لا عن دور الكفر فإنزال نصوص الكتاب و السنة و إجماع أهل العلم في وجوب الدفع عن هذه الديار إنزال في غير محله بل الواجب خلاف هذا الحكم فالواجب لو تحققت القدرة على الجهاد جهاد هذه الدور لا الدفاع عنها و هذه المسائل ذكر أدلتها يطول و قد تكلمت عن الدور التي يتحكم بها الكفار و يتسلطون عليها و أن هذه الدار إن لم يقاتل أهلها هؤلاء الكفار بل دخلوا في حكمهم و رضوا بذلك أن حكمهم العام الردة كما قال تعالى

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾

[النساء : 75]

و قال

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾

[الأعراف : 94]

فالموحد اليوم في هذه الدور حكمه حكم هذا المستضعف الذي يدعو الله تعالى أن يجعل له من لدنه وليا و يجعل له سلطانا فمن لم يشعر بهذا الشعور في هذه الدور اليوم فليراجع إيمانه و هذا الواقع ظاهر فملئت سجون الطواغيت من الموحدين و الموحد إما مسجون أو مشرد مطرود و كل هذا بمعاونة هذه الشعوب و نصرها له فهل سجن

الموحدين بل و قتلهم و تشريدهم من صفات دور التوحيد أم صفات دور الردة و الكفر

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾
[الأعراف : 88]

و قال

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾
[إبراهيم : 13]

و قال

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾
[الكهف : 20]

فهذا هو الواقع اليوم فالموحد إما مقتول عندهم أو مسجون أو مطرود و بعض أرتد على عقبيه بسبب هذه الفتنة و العذاب و الشعوب دينها دين ملكها بمعونة علماء الطاغوت و فتواه فكيف يقال إذا أن هذه الدور يجب الدفاع عنها من هجوم الكافر الأصلي و هذه الشعوب تحتاج إلى من يدعوها إلى الرجوع إلى أصل دين الإسلام و الدخول في الإسلام من جديد كما دعا الأنبياء جميعا أقوامهم إلى التوحيد و حذروهم من الوقوع في الشرك و بشروا الموحدين بالجنة و أنذروا المشركين من النار كما قال تعالى

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
[البقرة : 213]

﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾
[النساء : 165]

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
[الأنعام : 48]

و لم يرد في كتاب الله تعالى أنه أرسلهم مقاتلين مجاهدين نعم الجهاد الكفار سواء جهاد طلب أم جهاد دفع واجب على الكفاية أو على الأعيان و لكن لا تضيع الأعمار و الأوقات في ما لا يجب علينا لعدم قدرتنا عليه و لإنزالنا الأحكام في غير محلها و نترك ما يجب علينا من الدعوة للتوحيد و الصبر عليه .

و العجب أن من يجاهد اليوم يحتج بأن الجهاد اليوم جهاد دفع و جهاد الدفع لا يشترط له شرط و هذا الحكم خاص فقط بالكفار الأصليين أما الكفار المرتدين لا يقاتلون و يشترط في قتالهم شروط ثقال مع أن قتال الكفار المرتدين اليوم أعظم أنواع جهاد الدفع على الإطلاق بل ما مكن الكفار الأصليين من الدخول في هذه الدور إلا الكفار المرتدين و يحتج بعضهم في المنع من قتالهم أن يقال أن المسلمين يقتلون أصحابهم كما أن النبي صلى الله عليه و سلم صلى الله عليه و سلم امتنع من قتل بعض المنافقين خشية أن يقال بأن محمدا يقتل أصحابه فيلزمهم على هذا أن يمتنعوا من تكفيرهم و

يحكم عليهم بالإسلام لأنه هذا الحكم يخص المنافقين و لا يخص من أظهر الردة فمن أظهر الردة و أصر عليها فهذا وجب قتاله بإجما ع المسلمين كما قاتل الصحابة رضوان الله عليهم من آمن بمسيلمة الكذاب و اتفقوا على قتال مانعي الزكاة فهم إما أن يلتزموا بالتوقف عن تكفيرهم و الحكم عليه ظاهرا بالإسلام أو يحكموا بكفرهم و يلتزموا قتالهم و حينها يكون قتالهم أولى من قتال الكفار الأصلي لأنه جمع الردة و الصولان على بلاد المسلمين و احتلالها لا أن يقاتل الكافر الأصلي و يترك المرتد ردة ظاهرة و هو كذلك صائل على بلاد المسلمين بحجة الخوف من أن يقول الناس أن المسلمين يقتلون أصحابهم فندع المرتد يصول و يجول و يغير دين المسلمين و يعذب الموحدين و يشردهم و نحن عندنا القدرة على قتالهم و التخلص منه هذا لا يقبله عقل و لا شرع لمن علم أصول الشرع و قواعده .

و العجب أنه حتى منهج القاعدة في التوحيد منهج مضطرب تجد يجتمع فيها المشرك و الموحد و هذا من أعظم الخطأ فلابد من التفريق بين الموحدين و المشركين فتجدهم يستقبلون من يتحاكم إلى الطواغيت و من لا يكفرهم و يتبرأ منهم بل تجدهم يستقبلون من يعدهم أولياء أمر و يتولاهم بل قادة القاعدة يدعون حماس لجهاد اليهود و حماس منهجها معروف في شرك التشريع بل أصبح قادتها طواغيتهم بأنفسهم حيث أصبحوا مشرعين و يحكمون بالطاغوت و مع ذلك قاعدة القاعدة يفرقون بين حماس و غيرهم من الطاغوت و لا فرق بينهم البتة إلا على مذهب القاعدة لأن مذهب القاعدة يهتم بجهاد الكفار الأصليين و حماس تقاتل الكفار الأصليين أي اليهود لذا حماس لا تكفر و أما غيرهم من الطواغيت لا يكفرون لأنهم لا يجاهدون الكفار الأصليين هذا و إن لم يقولوه بألسنتهم و لكن هذا هو حقيقة عملهم .

و لنتصور قتال الكفار الأصليين في دار أكثر أهلها كفار من غير دعوة ثم خرج الكافر الأصلي من هذه الدار هل تظن أن الناس حينها سوف يحكمون بحكم الله تعالى و يتركون حكم الطاغوت و هم لازالوا يؤمنون بحكم الطاغوت و قد حدث هذا في أفغانستان حين خرج منها الشيوعيين و كان من ينتسب للجهاد فيها طرائق قددا و كل واحد منهم يريد أن يحكم بمذهبه فدب القتال بينهم مصداقا لقوله تعالى

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾
[البقرة : 253]

و هذا الاجتماع على غير التوحيد مآله إلى زوال لا محالة بل هذا من أعظم أسباب انتشار الشرك و موالاة الكفار كما قال تعالى

﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾
[الأنفال : 73]

أي إلا تفعلوا مفارقة الكفار و مجانبتهم تكون فتنة أي شرك و فساد كبير قال ابن كثير رحمه الله (وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين، لا يتراءى نارهما" (أخرجه ابن جرير مرسلاً ومتصلاً)، وروى أبو داود عن سمرة بن جندب: أما بعد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله". ومعنى قوله:

﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾

أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل.) .

فهذه المسائل من الأمور العظام التي لا يقوم دين الإسلام إلا بمعرفتها العمل بها نعم قد يستعظم بعضهم هذا الكلام و يقول كيف ما نراه اليوم من جهاد للكفار و ما قدمه المجاهدون من أجل هذا .

هل هذا كله كان في غير محله ؟

نقول نعم الحق أحب إلينا من أنفسنا فالخطأ في مثل هذا واقع عقلا و حسا فالكفار ينفقون أموالهم و أنفسهم لأمور يظنوها من الحق و لا يعني أنهم على الحق كما قال تعالى

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾
[الأنفال : 36]

و المقصود من ذكر هذه الآية بيان أن إذا كان الكفر و هو أوضح بطلانا عقلا و شرعا و مع ذلك بعض الكفار ينفق أمواله ليصد عن سبيل الله فمن باب أولى أن يقع الخطأ عند أهل الإسلام لقرب ما يقعون به من الإسلام و اشتباه عليهم بعض نصوص الكتاب و السنة و إنزالها في غير محلها .